**المحاضرة الخامسة**

* **موسيقى الرباعيات:**

**الرّباعية والتي تسمى أيضا الدوبيت قالب شعري دخل العربية من الفارسية، واصطلح عليه بالرباعية. وقد استعمل العرب المصطلح الفارسي «دوبيت» للتمييز بينه وبين المربع، ولتحديد المقصود منه، وإن كانوا قد حاولوا ـ بكثير من التكلف ـ أن يجدوا لوزنه أصلا في أوزان العرب، فقد جاء في الرسالة الثانية من عروض الدوبيت ما نصه: «اعلم أن الوزن الذي يقال له الدوبيت معناه عند العجم زوج بيت، المقول فيه عند العرب بيتان، إذ هو مزدوج النظم، وقد جرى على قياس العجم في إضافة اسم عدد التثنية إلى العدد كما فعل بعض شعراء العرب."**

**لفظة الدوبيت مكونة من كلمتين - إحداهما «دو» بمعني اثنين، والأخرى «بيت» بمعني**[بيت الشعر](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%8A%D8%AA_%28%D8%B4%D8%B9%D8%B1%29).

**جاء في**[كشاف اصطلاحات الفنون](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%B4%D8%A7%D9%81_%D8%A7%D8%B5%D8%B7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%86%D9%88%D9%86): **"هو بيتان من الشعر متفقان في**[الوزن](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D8%B2%D9%86_%28%D8%B4%D8%B9%D8%B1%29) [والقافية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%D8%A9)، **وليس من شرطه موافقة المصراع الثالث."**

**وفي**[الفارسية](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%84%D8%BA%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B1%D8%B3%D9%8A%D8%A9)، **لا يخرج وزن الرّباعية عن قوله «لا حول ولا قوة إلا بالله."**

* **تاريخ الرباعيات:**

لا يُعرف بالتحديد متى دخلت الرباعيات في الشعر العربي، إلا أن كتاب «الصحاح» [للجوهري](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A5%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A%D9%84_%D8%A8%D9%86_%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%88%D9%87%D8%B1%D9%8A) **المتوفى 393 هـ ذكر «الدوبيتي» وقال إنها نظم وغناء.**

**وذكر** [القاضي التنوخي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%A7%D8%B6%D9%8A_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%88%D8%AE%D9%8A_%28%D8%AA%D9%88%D8%B6%D9%8A%D8%AD%29)**المتوفى 384 هـ الرباعيات حين قال "حضرني أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي، وعندي**[صوفي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9) **يترنم بشيء من الرباعيات، فلم يستطبه أبو أحمد. فقال له على البديهة: يا أخي لا أقطع حديثك إلا بخير."**

* **أنواع الرباعي:**

**سميت بالرباعيات المنظومة بالفارسية على شكل (الدوبيت) والمكونة من أربعة أشطر تنتهي بقافية واحدة ووزن واحد؛ وهو ما عرف باسم الرباعي الكامل، أما الرباعي الخصيّ (الأعرج) فهو يقوم على وزن واحد مع اختلاف قافية الشطر الثالث – غالباً-. والوزن هو بحر (الهزج) المؤلف من تكرار تفعيلة (مفاعيلن) ست مرَّات.. وقد استخرج منه الشعراء أربعة وعشرين وزناً.. علماً أن معظم رباعيات الخيّام من الخصيّ.وهذا الوزن مما اخترعه المحدثون، وأكثروا منه لعذوبته، حتى أخلوا به في الوزن. فهو من ناحية يمتاز بموسيقى راقصة، لكل من الزاهد والصالح والطالح فيها أوفر نصيب**، **ولذلك سميت بالرباعيات.**

* **أنواع الرباعيات:**

**بحسب**[**مصطفى صادق الرافعي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B5%D8%B7%D9%81%D9%89_%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D9%82_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A7%D9%81%D8%B9%D9%8A)**، فإن للدوبيت باعتبار القوافي خمسة أنواع:**

**أولها يسمى «الرباعي المعرج» ويشترط في قوافيه أن يكون بين الثلاثة منها أو [بين] أربعتها الجناس التام، كقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا من بسنان رحمه قد طعنا** |  | **والصارم من لحظة قطعنا** |
| **ارحم دنفا في سنه قد طعنا** |  | **في حبك لا يصيبه قد طعنا** |

 **والثاني "الرباعي الخاص" ، ويشترط فيه أن تكون كل قافيتين متقابلتين بينهما جناس تام - ويقولون إن مثاله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **أهوى رشا ببلحظه كلمنا** |  | **رمزا وبسيف لحظة كلمنا** |
| **لو كان من الغرام قد سلّمنا** |  | **ما كان له بيده سلّمنا** |

 **والثالث :الرباعي الممنطق ، كقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **قد قد لهجتي غرام ونشر** |  | **والقلب ملك** |
| **من كان يراك قال ما أنت بشر** |  | **بل أنت ملك** |

 **والرابع «الرباعي المرفّل» ، كقوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **بدر إذا رأته شمس الأفق** |  | **كسفت ورقى في يوم أحد** |
| **عوّدت جماله برب الفلق** |  | **وبما خلقا من كل أحد** |

 **وهذان النوعان لا يشترط في قوافيهما الجناس.**

**والخامس «الرباعي المردوف، ويحسن فيه التزام الجناس، كقوله:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **يا مرسلا للأنام جاها وحمى** |  | **ها أنت لنا عزا وهدى** |
| **في أي مدد** |
| **يا أفضل من مشى بأرض وسما** |  | **يا شافعنا في الحشر غذا** |
| **غوثنا ومدد** |

* **بداية الرباعي ورواده:**

**وهذا الفن معروف في الشعر الفارسي منذ أواخر القرن الثالث الهجري. وقد نظم عليه**[**شهيد البلخي**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%87%D9%8A%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D9%84%D8%AE%D9%8A)**المتوفى (325 ه ‍ /936 م)** [والرودكي السمرقندي](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D8%AF%D9%83%D9%8A)**المتوفى (329 ه ‍ /940 م) والدقيق الطوسي المتوفى (368 ه ‍ /978 م).. وأبو سعيد ابن أبي الخير المتوفى (440 ه ‍ /1049 م)؛ وغيرهم.أما أشهر من نظم رباعيات كان**[**عمر الخيام**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B9%D9%85%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%8A%D8%A7%D9%85)**وقد نشرها عنه من سمعها من أصدقائه، وبعد عدة ترجمات وصلت لنا كما نعرفها الآن. ويرى البعض أنها لاتنادى إلى التمتع بالحياة والدعوة إلى الرضا أكثر من الدعوة إلى التهكم واليأس، وهذه وجهة نظر بعض من الناس، وقد يكون السبب في ذلك كثرة الترجمات التي تعرضت لها الرباعيات، بالإضافة إلى الاضافات، بعد أن ضاع أغلبها. ومن جهة أخرى هناك اختلاف على كون الرباعيات تخص عمر الخيام فعلا، فهي قد تدعوا بجملتها إلى اللهو واغتنام فرص الحياة الفانية، إلا أن المتتبع لحياة الخيام يرى أنه عالم جليل وذو أخلاق سامية، لذلك يعتبر بعض المؤرخون أن الرباعيات نسبت خطأ للخيام.
ويعتبر**[**مالك بن المرحل**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%A7%D9%84%D9%83_%D8%A8%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%AD%D9%84_%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%A8%D8%AA%D9%8A)**(عاش في القرن السابع، ما بين 604 إلى 699)، أول من وضع له ميزانا يرجع إليه عند الاضطرار أو الاختيار.**[**[9]**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%B9%D9%8A_%28%D8%B4%D8%B9%D8%B1%29#cite_note-9) **في ذلك يقول:**

**"رأيت النوع المعروف بالدوبيت من أوزان الكلام المنظوم، مستقيم البناء، مستعذبا في الغناء. إلا أن بعض الناس يخلطون في النظم عليه، ويسلك مسلك العجم في الزيادة فيه، والتقصير منه، حتى يخل به. فصنعت له ميزانا وبينت ما يجب أن يلتزم فيه، وما يحسن وما يقبح، قياسا على الأنواع العربية، وإتباعا للأكثر في المساق، والعذب في المذاق "فمثل هذا اللون من الشعر جدير بأن تكون له قواعد تضبطه، وتمنع الخلل فيه، ولذلك تجد ابن المرحل قد اعتمد في وضع قوانينه على عناصر ثلاثة، وهي: الأنواع العربية، واطراد الأنساق، والعذوبة في المذاق، حتى لا تبدو غريبة عن الأذن العربية. أما قوله بأنه اعتمد على اضطراد الأنساق العربية، فيقتضي بأنه سيبعد من النصوص ما شذ عن ذلك.**

* **الرباعي في الأدب العربي:**

**لم يعرف هذا اللون الشعري إبان العصر الجاهلي، أما المزدوج، فالقافية فيه لا تطرد في الأبيات بل تختلف من بيت إلى بيت، بينما تتحددفي الشطرين المتقابلين، وعادة تنظم من بحر الرجز... ونرى الفرس حين يعودون إلى لغتهم ويحدثون نهضتهم الأدبية يستخدمون هذا الضرب من الشعر في قصصهم متخذين له اسماً جديداً هو «المثنوي»؛ ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنه هو الذي رشح لظهور الرباعيات في الأدبين العربي والفارسي، وهي تتألف من أربعة شطور، تتفق أولها وثانيها ورابعها في قافية واحدة، أما الشطر الثالث فقد يتخذ نفس القافية وقد لايتخذها، مثل قول**[**بشار بن برد**](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%B4%D8%A7%D8%B1_%D8%A8%D9%86_%D8%A8%D8%B1%D8%AF)**مازحاً مع جاريته ربابة:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **ربابة ربة البيت** |  | **تصب الخل في الزيت ِ** |
| **لها عشر دجاجات** |  | **وديكٌ حسن الصوتِ** |

**وغيرها، ومن يرجع إلى تراجم الشعراء في الأغاني يجد منها أمثلة كثيرة. والدارس للأدب العربي لا يلاحظ بعد ذلك اهتمام الشعراء الفحول بهذا الضرب من النظم. ولذا خلا الشعر العربي من نماذج جيدة لهذا الفن؛ بل إنَّ هذا الفن في فترة من الفترات لم يكن يمثل ضرباً له رواده.**